

## القسم الأول

### ثانياً:

#### ابن خلدون - غير المتخصص في فقه اللغة والنحو، يبدى «نظرات» تناقش

١ - يقول: (ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم):

(والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علمٌ بكيفية لا نفس الكيفية، فليست نفس الملكة، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً، ولا يحكمها عملاً مثل أن يقول بصير بالخياطة، غير محكم لملكته، في التعبير عن بعض أنواعها: الخياطة هي أن تدخل الخيط، في خرت الإبرة، ثم تغرزها في لفتى الثوب مجتمعين، وتخرجها من الجانب الآخر بمقدار كذا، ثم تردّها إلى حيث ابتدأت، وتخرجها قدام منفذها الأول بمطرح ما بين الثقبين الأولين؛ ثم يتمادى على وصفه إلى آخر العمل، ويعطى صورة الحبك والتثبيت والتفتيح وسائر أنواع الخياطة وأعمالها. وهو إذا طولب أن يعمل ذلك بيده لا يحكم منه شيئاً.

وكذا لو سئل عالم بالنجارة عن تفصيل الخشب فيقول: هو أن تضع المنشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه، وآخر قبالتك بطرفه الآخر

وتتعاقبانه بينكما، وأطرافه المزرسة المحددة تقطع ما مرت عليه ذاهبة وجائئة، إلى أن ينتهى إلى أسفل الخشبة. وهو لو طولب بهذا العمل أو شيء منه لم يحكمه.

وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة فى نفسها، فإن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل. وكذلك تجد كثيراً من جهابذة النحاة، والمهرة فى صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين إذا سئل فى كتابة سطرين إلى أخيه أو ذى مودته أو شكوى ظلامه أو قصد من قصوده أخطأ فيها الصواب وأكثر من اللحن، ولم يُجد تأليف الكلام لذلك، والعبارة عن المقصود فيه على أساليب اللسان العربى. وكذا نجد كثيراً ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور، وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول، ولا المرفوع من المجرور، ولا شيئاً من قوانين صناعة العربية.

فمن هنا يُعلم أن تلك الملكة هى غير صناعة العربية. وأنها مستغنية عنها بالجملة، وقد نجد بعض المهرة فى صناعة الإعراب بصيراً بحال هذه الملكة، وهو قليل واتفاقي، وأكثر ما يقع للمخالطين لكتاب سيبويه، فإنه لم يقتصر على قوانين الإعراب فقط، بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم؛ فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة، فتجد العاكف عليه والمحصل له، قد حصل على حظ من كلام العرب اندرج فى محفوظه فى أماكن ومفاصل حاجاته، وتنبه به لشأن الملكة، فاستوفى فى تعليمها، فكان أبلغ فى الإفادة.

ومن هؤلاء المخالطين لكتاب سيبويه من يغفل عن التفطن لهذا، فيحصل على علم اللسان صناعة ولا يحصل عليه ملكه. وأما المخالطون

لكتب المتأخرين العاربية من ذلك، إلا من القوائين النحوية، مجردة عن أشعار العرب وكلامهم؛ فقلما يشعرون لذلك بأمر هذه الملكة أو ينتبهون لشأنها، فتجدهم يحسبون أنهم قد حصلوا على رتبة فى لسان العرب، وهم أبعد الناس عنه.

تعليق:

فى هذا النص.. ثلاث أفكار:

الأولى: أن الذى يجعل المرء المتعلم.. ماهرًا فى العربية هو قراءة كلام العرب الفصحاء القدامى، وسماعه، وحفظ بعضه، واستعماله.

الثانية: أن بعض النحاة.. يعرفون العربية صناعة نحوية، ولكن، إذا طلب من أحدهم كتابة سطرين.. فلا يحسن ذلك.

الثالثة: أن ملكة العربية.. مستغنية عن صناعة النحو بالجملة.

.. أقول: الفكرة الأولى.. صحيحة، لأن اللغة تعرف، وتحصل ملكتها، عند طالب العلم بالمراس - بسماع اللغة الفصيحة، وقراءتها، والإقدام على التحدث بها. بيد أنى أرى أنه لا بد لمن جاؤوا بعد القرن الأول الهجرى، من تعلم مبادئ النحو، وكلياته، إلى جانب ممارسة اللغة على نحو ما سلف القول. وهذا.. ردُّ على ما ورد فى الرقم الثالث. إذ ليس دقيقًا أن الملكة فى العربية تحصل، مع الاستغناء الكامل عن النحو بعد عهد السليقة.

- ولا ينهض دليلًا ضدَّ رأينا أن نُقرَّ أن قليلاً لديهم استعدادٌ عالٍ للفصاحة قد يحصلون ملكة العربية، من دون أن يتعلموا النحو. ومن هؤلاء فى العصر الحاضر - الشاعر محمود سامى البارودى الذى أحيى

ديباجة الشعر العربي كما كانت فى عصوره الزاهرة، وهو لا يعرف من النحو إلا القليل والكاتب المبدع إبراهيم المازنى الذى يعرف قليلاً من النحو، ليس أكثر. ما ذاك إلا لأن الأول قرأ وحفظ كثيراً من الشعر الجيد - ولأن الثانى قرأ كثيراً من النثر الجيد - إلى استعداد للفصاحة عند الاثنين.

- والفكرة الثانية.. صحيحة أيضاً ومما يذكر ولعله يصح شاهداً عليها أن أمير قرطبة فى الأندلس، زار الجامع الذى كان يدرس فيه العالم اللغوى الشهير أبو على القالى (ت - ٣٦١) فنهض القالى ليرحب بالأمير «فأرتج» عليه! - هكذا تقول الرواية: بيد أنى أرى أن الاحتمال الكبير أنه لم يُرْتَج عليه (أى- لم يضطرب) وإنما القالى لم يمارس الكتابة الأدبية، أو المحاضرات الخطابية - فأصابه «الحصر» وليس الإرتاج - (والإرتاج هو الارتباك).

- وهذا.. هو شأن الذين يعرفون اللغة، فقهاً، أو نحواً، ولكنهم لقلة مطارحة النصوص العالية، ولضعف الاستعداد للفصاحة، وللاقتصار على النصوص المصنوعة التى تعرض كأمثلة فإنهم لا يملكون القدرة على الكتابة الجيدة أو الخطابة العالية الفصاحة.

## ٢- رأى غريب فى بلاغة الكلام عند ابن خلدون

- يمثله قوله بأن صناعة النظم والنثر إنما هى فى الألفاظ لا فى المعانى يقول:

(اعلم أن صناعة الكلام نظماً ونثراً إنما هى فى الألفاظ لا فى المعانى، وإنما المعانى تَبَعُ للألفاظ وهى أصل فالصانع الذى يحاول

ملكة الكلام فى النظم والنثر، إنما يحاولها فى الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب، لىكثر استعماله وجرىه على لسانه، حتى تستقر له الملكة فى لسان مضر، ويتخلص من العجمة التى رُبى عليها جيله، ويفرض نفسه، مثل وليد ينشأ فى جيل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبى، حتى يصير كأنه واحد منهم فى لسانهم وذلك أنا قدمنا أن اللسان ملكة من الملكات فى النطق، يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل شأن الملكات، والذى فى اللسان والنطق إنما هو الألفاظ، وأما المعانى فهى فى الضمائر، وأيضاً موجودة عند كل واحد وفى طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى؛ فلا تحتاج إلى تكلف صناعة فى تأليفها وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوالب للمعانى. فكما أن الأوانى التى يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف، والماء واحد فى نفسه. وتختلف الجودة فى الأوانى المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء. كذلك جودة اللغة وبلاغتها فى الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام فى تأليفه، باعتبار تطبيقه على المقاصد. والمعانى واحدة فى نفسها؛ وإنما الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه، على مقتضى ملكة اللسان، إذا حاول العبارة عن مقصوده، ولم يحسن، بمثابة المقعد، الذى يروم النهوض ولا يستطيعه، لفقدان القدرة عليه، والله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون<sup>(١)</sup>.

(١) المقدمة، ١١١٠ - ١١١١.

### ٣ - ناقدان سبقا ابن خلدون:

- لقد سبق ابن خلدون ناقدان كبيران: أحدهما الجاحظ، عمر<sup>(١)</sup> ابن بحر.

(ت - ٢٥٥) والآخر الإمام عبدالقاهر ابن عبد الرحمن الجرجاني (ت - ٤٧٤).

- كلاهما تحدث عن بلاغة الكلام. فالجاحظ يقول: (وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى [والشيخ هو أبو عمر الشيباني]. والمعانى مطروحة فى الطريق، يعرفها العجمى والعربى، والبدوى والقروى. وإنما الشأن فى إقامة الوزن، وتخير اللفظ. وسهولة المخرج، وكثرة الماء. وفى صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسيج، وجنس من التصوير)<sup>(٢)</sup>.

- بيد أن قول الجاحظ (كما أرى) لا يعنى أن المعانى لا قيمة لها بقوله: (المعانى مطروحة فى الطريق) - وإنما يعنى أن (المعانى العامة) معروفة عند كل الناس، فكل يستطيع أن يقول، مدحًا لكريم: (أنت كالبحر، كرمًا)، ولكن، ليس كل متكلم يستطيع أن يقول كما قال المتنبى العظيم (ت - ٣٥٤) فى مدح كافور الإخشيدى:

(قواصد كافور، توارك غيره ومن قصد البحر.. استقل السواقيا)

لاحظ كيف أخرج المتنبى التشبيه (فى أصله) من التشبيه إلى الكناية،

(١) عمر.. أكتبها دون (واو) وأكتفى بوضع فتحة على العين، وقد كان (الواو) مع عمر، له مبرره قبل أن يعرف الشكل، من أجل التفريق بينها وبين عمر، أما بعد أن عرف الشكل.. فلم يعد من مبرر لوضع الواو فى آخر عمر.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ١٣١/٣ - ١٣٢.

فحماء من المباشرة بالتشبيه التي تجعل الهزة الوجدانية أضعف (في مثل هذا الموطن، وليس دائماً، لأن كل شيء يوجد، إذا لأم مكانه) وَحَوْلَهُ إلى الكناية التي هي أبعد غوراً من التشبيه هنا، وأكثر تأثيراً في الوجدان، عندما تصيب موقعها. فالكلام.. بدأ فى ظاهره مقارنة بين البحر والسواقي. بيد أن السياق يعيدك إلى أن المقصود هو وراء ذلك، وهو المقارنة بين كافور الذى يشبه البحر، وسيف الدولة الذى يشبه الساقية. وشتان ما بين البحر، وبين الساقية!، ولهذا.. فالمعنى المقصود لا يصل إلى المتلقى، مباشرة، وإنما بعد شيء من التدبر. وهذا أدعى إلى المتعة، لأنه لا يوصل إليه إلا بما يشبه الاكتشاف الفجائى الذى يثير الاندهاش.

- فإذا.. أضفنا إلى ذلك أن المتنبي لم يأتِ بالمشبه به وَحَدَهُ وبصورة بسيطة، بل جعله تشبيهاً مركباً عن طريق المقارنة بينه وبين ما هو أقل منه، فالمشبه به هو البحر، وقد وضع إزاءه الساقية، فبان الفرق واضحاً وضوح الشمس، فزاده ذلك عمقاً وتأثيراً.

- أحسب أن هذا هو الذى أراده الجاحظ العظيم بقوله السابق. والجرجاني يقول: (وإذا كان لا يكون فى الكَلِمِ نظم، ولا ترتيب إلا بأن يصنع بها هذا الصنيع ونحوه [وهو أن يتعلق الكلام بعضه ببعض، بسبب المعاني] وكان ذلك كله مما لا يرجع منه إلى اللفظ شيء، ومما لا يتصور أن يكون فيه ومن صفته.. كان بذلك أن الأمر على ما قلناه من أن اللفظ تَبَعُ للمعنى فى النظم، وأن الكلم تترتب فى النطق بحسب ترتب معانيها فى النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداً حروف، لما وقع فى ضمير ولا هجس فى خاطر،

أنه يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يجعل لها أمكنة ومنازل، وأنه يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك. والله الموفق للصواب<sup>(١)</sup>.

- ما سبق يدل على أن الجرجاني.. لا يقدم المعانى - من حيث هي معان مجردة من اللفظ - وإنما يقدمها من حيث هي مستخرجة من ذات المتكلم الألفاظ المناسبة لها. ولن يكون للمعانى هذه الأهمية لو كانت مجرد معان عامة، بل من حيث هي معان شعورية خاصة، إذا أحسن التعبير عنها أثرت في نفس المتلقى تأثيراً ممتعاً.

ومما يدلنا على ذلك أن الجرجاني يقول، فى مكان آخر، من الكتاب: (ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصيغة.. كذلك محال، إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية فى الكلام.. أن تنظر فى مجرد معناه...)<sup>(٢)</sup>. وهذا.. كلام موافق لكلام الجاحظ الذى وافقه الجرجاني مرة أخرى فى موضع آخر، ودل بكلامه<sup>(٣)</sup>.

نحن نرى أنه - هنا - ينعى على من يقدم الشعر - بمعناه - دون الألفاظ، إذ يقول مثل هذا الذى يقدم المعنى دون اللفظ؛ (ما فى اللفظ لولا المعنى؟).

- وعلى هذا.. فالجاحظ والجرجاني.. يتفقان على أن الأدب: معنى تفصيلى وجدانى خاص. عند كل أديب، ولكن لكى يحسن المعنى ويحرك المشاعر والوجدان، فيُمتع.. فلا بد من أن يحمله لفظ هو كفاء له، يعبر عن النمنمات الصغيرة التى تتحرك فى الوجدان كما يعبر عن المعانى الكبيرة.

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٥٥ - ٦٥.

(٢) المرجع السابق، ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٢٥١.

#### ٤- رأى ابن خلدون بعيد عن الصواب:

- أما ابن خلدون (وهو ليس ناقدًا متخصصًا.. كالناقد الذى له مؤلف فى النقد، وإنما هى نظرات يديها) فقد جاء برأى غريب لا نقره عليه - يخالف مخالفة المعاكسة رأى الجرجانى الذى يقول - كما سلف - «إن اللفظ تبعٌ للمعنى فى النظم. وإن الكلم تترتب فى النطق بسبب<sup>(١)</sup> ترتب معانيها فى النفس». فأنت ترى أن ابن خلدون من بدء كلامه عن صناعة النظم والنثر.. يقول: أعلم أن صناعة الكلام، نظمًا ونثرًا، إنما هى فى الألفاظ - لا فى المعانى - وإنما المعانى - تبع - لها، وهى أصل.

- وهذا.. رأى قاصر. لأن الإنسان حتى فى العهود البدائية كان يقوم المعنى فى نفسه، ثم.. يبحث له عن «صوت»، أو - إشارة، أو حركة. هذا قبل أن يكون أصواتًا مركبةً. ثم.. أخذ يتحسس إيجاد صوت مركب للتعبير عن المعنى (وقد يكون المعنى إحساسًا، وشعورًا).

وعندما ترقى الإنسان، وأصبحت لديه لغة أخذ المعنى يجذب اللفظ، أو - ما ينبثق المعنى فى النفس أو العقل حتى ينجذب إليه اللفظ الذى يلائمه - خاصةً عند الأدباء، شعراء، وناثرين، لأنهم أصحاب إحساس مرفه.

- وعلى هذا.. فقوله: (...والذى فى اللسان والنطق إنما هو الألفاظ. وأما المعانى فهى فى الضمائر). إن كونها فى الضمائر (أو فى العقل والوجدان) لا ينفى أن الألفاظ المناسبة لها عند الأدباء تنجذب لها لتعبر عنها، عندما تبدأ المعانى تتقلقل فى العقل والوجدان.

---

(١) يقصد: (بسبب) معنى (بحسب) أو لعلها (بحسب) وإنما هذا من خطأ النساخ.

- وقوله: (...أيضاً.. المعانى موجودة عند كل واحد، وفى طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى، فلا تحتاج إلى تكلف صناعة فى تأليفها). وهذا.. فهم سقيم لقول الجاحظ، فالجاحظ يعنى بالمعانى - المعانى العامة - كما سلف القول - بيد أن المعانى العقلية والوجدانية الدقيقة التى لا يستطيعها كل أحد.. ليست مقصود الجاحظ بعبارته التى أوردناها قبل صفحات.

- ثم.. شبه ابن خلدون المعانى بالماء، وشبه الألفاظ بالأوانى التى يغترف بها الماء، قال: (...وتختلف الجودة فى الأوانى المملوءة بالماء باختلاف جنسها، لا باختلاف الماء!).

- وهذه مقايسة غريبة-!، فليست المعانى كالماء، لأن الماء مادة «بسيطة» فنيًا، لا تـكـيـبـاً كيميائياً، لها وصف ثابت لا يتغير، أما المعانى.. فهى «متزنده» باستمرار، وما فى نفس زيد منها يختلف عما فى نفس سعيد (أعنى المعانى العقلية الدقيقة، والمعانى الوجدانية الآخذة شكلاً فى كل نفس يختلف عما هو موجود منها، فى أى نفس) وما فى حضارة منها يختلف عما فى حضارة أخرى، على أن الاختلاف لا يعنى التناقض، ولا التنافى، وإنما يعنى أنها.. كثيراً ما تكون صوراً باتجاه واحد، ولكن، لكل صورة خصوصيتها. بل المعانى كأنواع من السوائل الملونة - كل سائل يختلف فى لونه عن الآخر - سواء - أوضعت فى زجاجات ذات لون واحد أم أكثر من لون.

- أما أن الألفاظ كالأوانى.. فمقايسة غير دقيقة، لأن الآنية - كل منها يصلح لكل سائل - ماءً كان، أو عصيراً، أو كان قطراناً،

أو سُمًّا... وليست كذلك الألفاظ، فاللفظة.. لها معنى، أو - معانٍ تقوم باتجاه واحد. فإذا استعملها أحد بغير معانيها، أو ما يمكن أن يقاس على معانيها، وبنفس اتجاه هذه المعاني (أو -عكس معانيها). عُدَّ كلامه خطأ، وعيَّبَ عليه ذلك، إذا تكرر وكثر.

- أما قوله بأن الضعيف في اللغة لا يستطيع أن يعبر بتعابير مؤثرة.. فهو قياس لم يدرك الفرق بين الشخص الذي يمتلك اللغة، والشخص الذي لا يعرف إلا قليلاً من ألفاظها، لأن الأول يستطيع أن يكسوَ معانيه بألفاظ مؤثرة، أما الآخر فلأنه فقير بالألفاظ فهو فقير بالقدرة على أن يكسوَ معانيه بألفاظ، حتى وإن لم تكن مؤثرة. بل - ابن خلدون نفسه: أفضل غيره بألفاظه - بالدرجة الأولى - أم بفكره: بمعانيه؟

#### ٥- رأى ابن خلدون في الشعر الإسلامى:

- رأى ابن خلدون في تفوق الشعر في الإسلام على الشعر في الجاهلية رأى مرجوح إذ هو يرى أن الشعر في الإسلام، تفوق على الشعر في الجاهلية. ويتضح هذا من قوله الآتى:

(ويظهر لك من هذا الفصل، وما تقرر فيه سرّ آخر<sup>(١)</sup>)، وهو إعطاء السبب في أن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهلية في منثورهم ومنظومهم. فإننا نجد شعر حسان ابن ثابت وعمر ابن أبي ربيعة والحطيئة وجريراً والفرزدق ونُصيباً وغيلانَ وذا الرُّمّة والأحوص وبشاراً، ثم كلام السلف من العرب في الدولة الأموية وصدراً من الدولة العباسية، في خطبهم وترسيلهم ومحاوراتهم

(١) العبارتان الأوليان: تشيران إلى كلام سابق، وهو أن ملكة اللغة تكون جودتها تبعاً لجودة المحفوظ، ومثل ذلك.. الشعر، والأدب - عامة.

للملوك - أرفع طبقة في البلاغة بكثير من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة ابن عبدة وطرفة ابن العبد، ومن كلام الجاهلية في منثورهم ومحاوراتهم. والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة.

والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث. اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثليهما، لكونها ولجت في قلوبهم ونشأت على أساليبها نفوسهم؛ فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة عن ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية، ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها؛ فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجةً وأصفى رونقًا، وأرصف مبنىً وأعدل تثقيفًا، بما استفادوه من الكلام العالی الطبقة. وتأمل يشهد لك به ذوقك إن كنت من أهل الذوق والتبصر بالبلاغة<sup>(١)</sup>.

- في هذه الكلمة ثلاثة آراء:

- الأول.. أن شعر الإسلاميين أعلى طبقة من شعر الجاهليين.
- الثاني.. السبب في ذلك أن الإسلاميين.. ولج إلى نفوسهم القرآن الكريم والحديث الشريف وهما أعلى طبقة مما تلقاه الجاهليون عن آبائهم من شعر، ونثر.
- الثالث.. أن ترسل الإسلاميين وخطبهم.. أعلى في البلاغة من ترسل الجاهليين وخطبهم.
- أقول: هذه الآراء.. ثالثها صحيح. أما الأول والثاني.. فغير صحيحين، وتدلل على هذا بما يأتي:

(١) المقدمة، ١١١٤ - ١١١٦.

- قوله بأن شعر الإسلاميين أعلى طبقة من شعر الجاهليين -  
لا يسنده واقع شعرهم ، ومن أبرز الإسلاميين - حسان بن ثابت - رضى  
الله عنه (ت ٥٤) ثم.. عمر بن أبى ربيعة - رحمه الله - (ت - ٩٣).  
- فحسان اكتملت موهبته ، وهو فى الجاهلية ، فقد دخل الإسلام وعمره  
كان ستين سنة ، فكانت موهبته آنذاك قد «تحوصلت» على قيم الجاهلية  
والتشكيل الفنى للشعر الجاهلى. ولهذا.. فقد كان الرجل يمتاح شعره. فى  
الإسلام من عقله ، وشعوره الواعى لا من موهبته الفنية (المتحوصله) التى  
لم يكن بإمكانها أن تصوغ الجديد من المعانى بتشكيل فنى تابع من لغة  
الإسلام ، وهى لغة القرآن. والإسلام لم يأت بكثير فى التشكيل الفنى ، لأن  
الإسلام دعوة دينية ، والدعوة الدينية - أيًا كانت - يناسبها «الوضوح» ،  
والوضوح يأتى به النثر ، لا الشعر ، لأن النثر لغة العقل - الواضح - أما  
الشعر.. فلغة الوجدان - الطامح - أما إذا قيسَ الشعر ليقول شيئاً مباشراً  
فى الدعوة.. فإنه يأتى واضحاً ، كوضوح النثر. ومثل هذا الشعر هو نظم ،  
بالدرجة الأولى إلى التاسعة ، وشعر بالدرجة العاشرة فقط<sup>(١)</sup> ، ولأن السبك  
القرآنى لا يُقلد كما سنعرف تالياً... وهكذا كان شعر حسان فى الإسلام  
- كان معانى عقلية منظومة بوزن وقافية - وليست شعراً عالياً.

## ٦ - الإسلام لم يأت بكثير فى التشكيل الفنى:

ومما يدلنا على أن الإسلام لم يأت بكثير ، فى مجال التشكيل  
الفنى.. ثلاثة أشياء:

(١) انظر: كتابي: (منابع الشعر - ومكانة الشاعر)، ٢٢-٢٥. عمان، جمعية عمال  
المطابع التعاونية. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ففيه تفصيل عن «حوصلة» الوجدان الشعرى،  
مطبوعاً على الشاعر حسان بن ثابت.

الأول: أن الشعر الجاهلي (في المعلقات - خاصة - وفي المجموعات الشعرية - كالأصمعيات والمفضليات فيما جاء بهما من الشعر الجاهلي) كان بلغ الغاية في النضج، والتشكيل الفني وصحة الطبع واستقامة المعنى، في مجال الشعر الوجداني<sup>(١)</sup>.

والثاني: ما أسلفناه.. آنفاً، وهو أن الإسلام دعوة دينية، تنشد الوضوح، شأنها شأن كل الدعوات الدينية، والأيدولوجية، والفكرية. والثالث: أن الشعراء الكبار الذين ذكرهم ابن خلدون - الذين كانوا في العهد الأموي - كجرير (ت - ١١٤)، والفرزدق (ت - ١١٤)، والأخطل (ت - ٩٣) قد عادوا إلى قيم الجاهلية - الفنية (= التشكيل الفني الجاهلي) يستجلونها، ويبدعون شعرهم من خلالها، فقد صارت «نسيج» شعرهم. بل - إن القيم الأخلاقية التي أوردوها، في شعرهم، تتفق كثيراً مع قيم الجاهلية الأخلاقية. بل - سقطت دونها، أحياناً. ودليل ذلك أن «النقائض» بين جرير، والفرزدق.. انحدرت بالأخلاق انحذاراً سحيقاً، حتى إننا لم نجد من فعل فعلهما، وبنفس الكثافة، في الجاهلية -!، بل - لو أن مستعرباً لم يعرف أن هذين الشاعرين إسلاميان - أمويان.. لاعتقد اعتقاداً جازماً أنهما من شعراء الجاهلية الأولى!

(١) كثيرون يسمونه (الشعر الغنائي) وهذه تسمية مضللة، فالشعر الوجداني لم ينشأ من أجل أن يُغنى به، وإنما نشأ من أجل أن يعبر عن المشاعر والأحاسيس والعواطف. (وهذه تجمعها كلمة الوجدان) فهو شعر (وجداني) - لا غنائي. واستعمال بعضه للغناء - حقاً - لا يخرج عن صفة الوجدانية إذ لم يُغنْ بأكثر من خمسة بالمئة منه (=٥٪). ومن حيث قضية النضج في الشعر الجاهلي.. فانظر: طه حسين في كتابه - حديث الأربعماء، الجزء الأول. فتقرير نضجه واضح، في هذا الجزء من الكتاب.

- أرجو أن تكون هذه الأدلة الثلاثة.. كافية لدحض رأى ابن خلدون. لأن ابن خلدون - كما قلنا فى كلام سابق - ليس بناقد محترف (متخصص) - كالجاحظ، أو -الحسن ابن بشر الأمدى (ت- ٣٧٠) - صاحب كتاب (الموازنة بين الطائيين) - أو - كالإمام عبد القاهر الجرجانى. فهو (=ابن خلدون) يطلق أفكاراً فى مجالات شتى، بعضها يصيب، وبعضها يخطئ، ومما أخطأ - فيه - منها حكمه هذا على شعراء الجاهلية، وشعراء الإسلام.

#### ٧- سببُ بُغْدِ رأى ابن خلدون عن الصواب:

- وسبب بعد رأى ابن خلدون هذا.. عن الصواب (إضافة إلى أنه ليس ناقدًا متخصصًا) أنه شأنه شأنُ المفكرين والفلاسفة الذين يُنظرون - للأدب، بيد أنهم ينكرون عن التطبيق - خلافًا للنقاد المحترفين - والتطبيق هو الذى يُنبئه صاحبُ الرأى -كثيرًا - إلى أن رأيه صواب أم خطأ. ولذا.. فهو لم يأت ولا بمقطوعة واحدة من شعر حسان، مثلاً، بعد الإسلام، ويقارنها -تطبيقًا - مع مقطوعة لأى شاعر من شعراء المعلقات. وعندئذٍ.. يبين له الفرق بين صفاء الطبع وصدق القول فى الشعر وبين شعر الإسلاميين الذى ينزل -عنه - درجة.

- فالتنظير.. بسيط بيد أنه قد يصح، وقد لا يصح. ولكن التطبيق.. معقد، يحتاج إلى مهارات شتى، تحتاج إلى موهبة، وهذه المهارات.. قلما يمتلكها من ليس متخصصًا وموهوبًا.

- وإن قول ابن خلدون، فى نهاية رأيه: (وتأمل يشهد بذلك ذوقك. إن كنت من أصحاب الذوق والتبصر بالبلاغة) - قول يهبط عن مستوى فكره، لأن قوله هذا - كما يقول أصحاب المنطق - مصادرة

على المطلوب. فهو يريد أن يحمل الناس على موافقته على رأيه - لا عن طريق التطبيق، أى - لا عن طريق التحليل والتدليل، وإيراد المثل، والمقارنة فالإقناع - وإنما عن طريق وَصْم المتلقى بأنه ليس من أهل الذوق، والتبصر بالبلاغة، إن لم يوافق على رأيه.

- وهذا.. ليس أسلوبَ مُحاجَّة العلماء الذى يقوم على الإقناع، لا على الإرهاب الفكرى. فما كان أجدَرَ باينَ خلدون - المفكر، المحلل - أن يترفع عن هذا النمط من الأساليب التى يمارسها العوام، ومن لم يوهبَ ملكة التحليل هذه الموهبة التى تبرز فى معظم مقدمة ابن خلدون - يرحمه الله - ولكن، لكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة، ثم.. (أى الرجال المهدب!).

#### عمر - ابن أبى ربيعة:

أما عمر ابن أبى ربيعة.. فهو ولد فى الإسلام، وعاش فيه (ت - ٩٣). وهو أعلى كعباً، فى شعره، من شعر حسان - فى شعره الإسلامى (أعنى شعر حسان)، خاصة - بيد أن عمر شاعر غَزَلٍ، ونشأ فى بيئة «مترفة» والغزل، والترف يرفقان عواطف الشاعر ويبعدانه عن الاعتناء بشعره<sup>(١)</sup> (عناية شعورية، ولا شعورية) - على غير ما يعتنى الفحول بشعرهم. أولئك الذين كانوا يحسون أن وصولهم إلى العيش الرغيد لن يكون بغير

(١) انظر: كتابى (رائية ابن أبى ربيعة، فى حبيبته - نُعم)، عمان، دار البداية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م. القسم الثانى (الجوانب الإيجابية)، ٣٥ - ٨٧، والقسم الثالث (الجوانب السلبية)، ٨٩ - ١٣٢، فالشاعر ابن أبى ربيعة للأسباب التى ذكرناها عنه - لم يعتنِ بتجويد شعره، فبين القسم الثانى - والثالث.. تناقضات، وأخطاء فى استعمال الألفاظ، من حيث إنها لا تناسب المعنى الذى جاءت له، وإن كان اللفظ فى ذاته فصيحاً (لأن عمر ممن يحتج بشعره). ومن حيث الانحراف بالمعنى عن وجهها.

تجويد شعرهم، ليكون نافقاً عند الخلفاء، والأمراء. والوزراء والقادة. وليكون سائراً بين المثقفين. وهذا.. إحساس لم يُعانِ منه عمر، ومن الدليل على ذلك - الطريف، في نفس الوقت.. أن حاكم المسلمين، في أيام عمر هذا - عبد الملك ابن مروان.. التقى بالشاعر، فقال عبد الملك له: (لماذا لا تمدح في شعرك الرجال؟) فقال له: (يا أمير المؤمنين، إننى أمدح النساء-!) يعنى يتغزل بالنساء. والغزل.. من باب التوسع - هو فى معنى المدح، هو مدح لأنه إطراء لمحاسن المرأة. والمدح - على حقيقته - هو إطراء لمحاسن الرجال. ولكن، إطراءً للمحاسن العالية من مدح بالكرم، والشجاعة، والحكمة، والمروءة.. الخ - وربما أطرى الشاعر محاسن جسدية للممدوح.

- إذن.. حسان، فى شعره الإسلامى، وعمر فى جميع شعره يأتى دون فحول الجاهلية، على رقة شعر عمر، وتأثيره الوجدانى بشكل عام.

- أما رأى ابن خلدون الثانى.. وهو أن سبب علو شعر حسان - وعمر - بزعمه - إنما هو ولوج لغة القرآن والحديث الشريف إلى مكان الملكة اللسانية فى ذواتهم (ومثلهم.. من جاؤوا، بعدهم من الإسلاميين، والعباسيين) - فهو رأى -أراه - فاقداً لما يتصف به ابن خلدون من القدرة - التحليلية - العالية، ولكن، غير الموجهة كما أسلفنا القول.

- فالقول بأن القرآن - خاصة - أثر فى أساليب الأدباء شعراء. وناثرين، منذ أيام حسان، حتى نهاية العصر العباسى الأول بل وحتى تقوم الساعة - فقول.. ينقضه التحقيق والتحليل. أقول، بدءاً: القرآن لا «يقلد». لا لفظاً فى جملة، ولا جملةً فى تعبير. ولا أسلوباً فى

نصّ، ولا طريقة وصل بين فقرة وفقرة، وهذا الأخير هو ما سماه -  
 البقاعى - (ت- ٨٨٥) - (نظم الدرر فى تناسب الآيات، والسون).  
 فى كتابه الموسوم بهذا الاسم، ونحن قرأنا وحفظنا قول الله تعالى:  
 ﴿ قُلْ لِيِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ  
 وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٨). وقرأنا وحفظنا قوله  
 تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا  
 شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ  
 الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٤).

- فأنت ترى أن الله تعالى تحدّى فصحاء خلق الله بالعربية، وهم  
 قريش.. أن يأتوا بمثل القرآن. وفى آية تحدهم أن يأتوا بعشر سور  
 مقتريات (لأنهم رمّوا القرآن بأنه مفترى<sup>(١)</sup>) ثم.. انتهى بهم فى التحدى  
 إلى أن يأتوا بسورة واحدة من مثل القرآن.. فعجزوا...!!

#### ٨ - ما لا يقلد لا يمكن مجاراته:

- والشىء الذى يقره العقل والواقع أن الشىء الذى «لا يقلد» كلامًا  
 كان، أو كان إحياءاً للموتى.. لا يمكن «مجاراته»، ولا الإفادة منه فى  
 جانب التحدى منه. ذلك.. لأنه معجز، والمعجز سُمى.. معجزًا، لأن  
 الجن والإنس (بله غيرهما من المخلوقات غير العاقلة) يعجزون عن  
 مجاراته، أو مباراته، أو الإتيان بمثله، وخاصةً فى المعجزات الكبرى  
 التى تتصف بالديمومة. ولو أنهم يستطيعون أن يأتوا بمثله.. لما كان  
 معجزًا سرمديًا. بل لو كانوا يستطيعون أن «يقلدوه» لما عاد معجزًا.

(١) اقرأ فى سورة هود. ١٣.

والذى لا يقلد.. لا يستفاد من بُنيته، ولا من كيفية حدوثه، والا.. فهل استفاد الخلق من إحياء الله تعالى للموتى على يد سيدنا عيسى -عليه السلام - بأمره تعالى المباشر، كما كان فى قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾<sup>(١)</sup> [البقرة: ٢٥٩].

- النتيجة.. إذن - أن القرآن الكريم يمكن الاستفادة من معانيه، وأحكامه، ومن مبادئه، وتوجيهاته، وروحه، ويمكن الاقتباس منه. ولكن، يستحيل تقليده، واستحالة تقليده تعنى استحالة استفادة البشر من أسلوبه، فى الجملة، والفقرة، وتتابع موضوعاته، ومن منهجه فى عرض قضاياها. إن البشر أقل من أن تتناول قلماتهم إلى مثل هذا.

(١) أحد الأستاذين المحكمين لهاذا البحث، (ليقدم فى ندوة..) عدّ حديثى عن إعجاز القرآن - هنا - (استطراداً). والحق أن ثمة فرقاً كبيراً بين الاستطراد - والتوضيح، الاستطراد هو: انتقال من الموضوع الذى يعالجه الكاتب إلى موضوع آخر. لا صلة مباشرة له به كما كان يفعل الجاحظ العظيم. إذ كان ينتقل - مثلاً - من الحديث عن -الحمام - إلى طرفة عن شيخ سمع صوتاً خلف الباب فظنه سارقاً، فأخذ يهدده بالولج إليه، إذا لم يخرج، ونفاجأ أن الذى خلف الباب كان.. ماذا؟ كان.. كلباً!!

وللجاحظ عذره وتوضيحه لما كان يقوم به من استطراد يفعله وهو واع لما يفعل. أما ما قمت أنا به، فى مثل حديثى هنا - فى المتن - عن إعجاز القرآن، وأن ليس من أحد يستطيع أن يستفيد من (سبك) القرآن، عبارات، وجملاً، وآيات.. لأنه لا يستطيع أحد أن (يقلده) فليس هنا استطراد وإنما هذا (توضيح) لا يُستغنى عنه، لتمام الفكرة، فابن خلدون يزعم أن شعر صدر الإسلام أعلى - فنياً - من الشعر الجاهلى وعلّة ذلك عنده استفادة الشعراء من أسلوب القرآن. فلكى ندحض هذا الزعم، فلا بد مما أسلفنا من التوضيح ولن نتضح الفكرة دون الحديث عن إعجاز القرآن للتدليل على انتفاء القدرة على تقليده.

## ٩ - لغة رسولنا العظيم:

- معلوم لدى الكثرة الساحقة أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أفصح العرب - وأنه أوتى جوامع الكلم - كما وُصِفَ بيانه الرفيع<sup>(١)</sup> - وهذا.. أمر تقبله العقول والفطر السليمة. لأن رسولنا خاتم الأنبياء، وأوتى القرآن الكريم - المعجز - تنزيلًا من ربه تعالى، فلا غرابة في علو فصاحة الرسول، فلا تقبل العقول أن يكون النبي الذي تَنَزَّلَ عليه هذا القرآن - الغاية في الفصاحة - إلا.. فصيحًا. أولاً.. ليتواءم مع القرآن في فهمه، فيبلغه للناس. ولا يعقل أن رجلاً عَيَّباً مثلاً - وحاشا رسولنا - يتفاعل مع القرآن، لأنه لا يستطيع فهمه - بله.. أن يقدر على تبليغه للناس.
- وثانيًا.. لأن الرسول العظيم كان يخاطب أعلى الناس، فصاحة، بالعربية، فلا يعقل أن يتجاوب الناس مع داعية، هو أقلّ منهم فصاحة. وليس في طبائع البشر أن يُسَلِّم القوي قياده للضعيف - سواء أكانت القوة قوة مال، أو منصب، أو جماعة، أم كانت قوة لغة، فقوى المال لا يسلم قياده لضعيف المال (= قليل المال) والموظف الكبير لا يسلم قياده للموظف الصغير، وكثير العزوة لا يسلم قياده لقليل العزوة، والأفصح لا يسلم قياده للأقل فصاحة. هذا في كل أمر...
- وثالثًا.. لكى تخلد أقواله، ويتناقلها الناس - خاصةً أن كثيرًا منهما هو جزء من الدين سواء أكان هذا الجزء تبيينًا للدين، أم كان اجتهادًا في الدين.
- إذن.. شىء طبيعي، تستجليه العقول أن يكون رسولنا العظيم.. أفصح العرب.

(١) صحيح البخارى، تعبير/ ١١.

١ - ومع هذا.. فكلام الرسول العظيم.. نازل عن كلام الله تعالى درجتين: درجةً هو حال فيها، ودرجةً «فراعًا» تفصل بين كلامه وبين كلام الله تعالى - المعجز<sup>(١)</sup>. كلام الله تعالى.. معجز. وكلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - مُبينٌ.

٢ - من ناحية أخرى. عندما نقارن كلام الرسول العظيم بالشعر الرفيع.. فإننا نجد أن كلام الرسول العظيم.. يتفوق على الشعر الرفيع بإحدى عَشْرَةَ خاصيةً، سواء أكان الشعر هو الذى جاء قبل الوحي - أم كان الذى جاء بعد الوحي، فَصَلْنَا هذه الخاصيات، فى كتابى (منابع الشعر - ومكانة الشاعر)<sup>(٢)</sup>.

- وإنك لترى أن كون كلام رسول الله يعلو على الشعر الرفيع بإحدى عشرة خاصية. (وهو يعلو على النثر الفنى بمثل ذلك، أو أكثر - وعلى النثر العلمى بأكثر منها.. بوضوح).. فهذا.. يعنى أن الشعر (ومثله النثر) لم يستطع أن يستفيد من (بيان) كلام الرسول الأَفْصَح، إذ لو استفاد من بيانه.. لما كانت المسافة، فى الفصاحة، بينهما بهذه السعة-!

- وهذا.. أمر يقبله العقل، لأن كلام الرسول.. مُضَاءٌ بأنوار النبوة - كما أن القرآن.. مضاءٌ بأنوار الله تعالى. ومع قيام فرق كبير بين أنوار الرسول الكريم، وأنوار الله العظيم غير أن كلاً من هذه الأنوار.. لا تدانيها قناديل النور التى تضيء كلام العباقره من البشر شعراء، وناثرين.

(١) انظر: تفصيل ذلك فى كتابى: (منابع الشعر. ومكانة الشاعر)، ٧٠ - ٧٢ (مرجع سابق).

(٢) انظر: المرجع السابق، ٧٠ - ٧٤.

## ١٠- ترسُّلُ الإسلاميين - وخطبُهُم:

- خلافاً لما قلناه بحكم سابق، عن رأى ابن خلدون المرجوح فى شعر الإسلاميين والجاهليين.. فإن الرجل كان مصيباً فى رأيه عن ترسُّل الإسلاميين وخطبهم أنها.. أعلى مما كان للجاهليين.

- ذلك.. لا لأن القرآن الكريم، والحديث الشريف - قد صقلا نثرهم كما يرى ابن خلدون، فأذ لم يصقلا الشعر لم يصقلا النثر كذلك - لا بل لأن الإنسان، فى مراحل تحضره الأولى.. تكون لغته شعراً، أو تكون أقرب إلى الشعر. فحتى لو قال أو كتب كلاماً - غير موزون فإن عبارته إن لم تكن شعرية.. كانت (شاعرية). أى: كان التأثير الوجدانى فيها كبيراً. لأن الإنسان، فى بدء تحضره يكون وجدانه (أو - فطرته، وعاطفته، ومشاعره، وأحاسيسه) هو النامى والوجدان.. لغته ليست الوضوح والمنطق الخارجى. وإنما هى اللغة المؤثرة المحركة لذات الإنسان الشاعرة، أو العاطفية.

- أما عندما يرقى فى سلم التحضر.. فإن وجدانه يتراجع. بعض الشيء، لكى يفسح المجال إلى العقل الذى قطع مرحلة جيدة، فى النمو وفراغ - الذات البشرية - حجمه واحداً، (قد يتسع مع التدريب، قليلاً) ولذا.. فلا يتسع هذا الفراغ لوجدان كثيف، ولعقل مُنيف، فلا بد من أن يتراجع أحدهما أمام نمو (الآخر)، لكى يكون هذا (الأحد)، كما هو عند معظم الناس، فى المستوى العادى، ولكى يُضحى هذا الآخر فوق ما هو عند معظم الناس - وأكمل. إن فراغ الذات شبيهة بالإناء: إذا ملأته إلى ثلثيه بالعسل، مثلاً، فلا تستطيع أن تضيف فيه، ثلثين آخرين من الحليب، فلا يتسع إلا إلى ثلث آخر، من الحليب.

- هذا.. شأن عقول المشاهير. ولذا.. فإما أن يكون العبقرى شاعراً كبيراً - أو ناثراً كبيراً. أما الذين يحملون أنفسهم على أن يكونوا شعراء كباراً، وناثرين كباراً.. فغالباً.. لا يكونون هؤلاء الشعراء الكبار ولا أولئك الناثرين الكبار. لأن حمل النفس على الإبداع فى الشعر، وفى النثر - كهذا الرجل الذى يتزوج اثنتين، ثم.. يحاول أن يحمل نفسه على أن يبذل من ذات نفسه لكل واحدة منهما - وكأنه زوج واحدة - فإنه بذلك.. يحاول شيئاً من المستحيل.

- ولهذا.. فشعراء العرب -اليوم - وربما شعراء العالم - هم دون نظرائهم فى الموهبة، قبل حين، لأنهم يمارسون الشعر، والنثر معاً. إن شعراء الجاهلية، وشعراء القرون الأربعة الأولى، فى الإسلام - وشعراء مطلع القرن العشرين - مثل أحمد شوقى وحافظ إبراهيم - أرفع صياغة وأسلوباً من الشعراء المحدثين. بيد أن المحدثين أقرب منهم إلى الاهتمام بالفكر، وبالوعى السياسى والاجتماعى.

### ١١ - النثر لغة العقل:

- وبما أن النثر.. لغة العقل. والعقل بدأ ينمو - بخطوات سريعة - بعد بزوغ فجر الإسلام. ولذا.. فالشئ الذى يتماشى مع طبائع الأشياء، ومع قوانين الأشياء.. أن يكون الترسل والخطابة، ثم.. الكتابة النثرية.. أوسع وأغنى، وأنضج، وأقرب إلى الإفصاح عن أفكار العقل - مما كانت عليه فى الجاهلية.

- ولكن، لا علاقة للقرآن، ولا الحديث، بما انتهينا إليه فى (الخطابة - والكتابة الفكرية) من غنى وعمق من جهة التأثير فى الصياغة والأسلوب. بيد أن تأثير القرآن والحديث، فى التطور العقلى،

ونمو الأفكار، وتنوع الموضوعات.. كان عظيمًا، فعليهما، بالدرجة الأولى - إلى الثامنة.. قامت الحضارة الإسلامية.

- أما الدرجتان الباقيتان.. فكانتا بتأثير الحضارة اليونانية، والفارسية، والرومانية، والهندية. وإن بعض هاتين الدرجتين كان معوقًا لحركة الإسلام الصاعدة. ومن هذا المعوق.. الفلسفة اليونانية، والمنطق اليوناني - اللذين نبتا من حضارة مُلحدة، فأديا ببعض الفرق الإسلامية - كالمعتزلة - إلى الانحراف عن الحق، وذلك.. بتقديم العقل على النقل. مع أن العقل هو الجزء، والنقل هو الكل، العقل.. أداة - في حقيقته - يُفترض أن يعمل بتوجيهات النقل - لكي لا يضل، - أى - بتوجيهات الفكر الكلى. لأن العقل الجزئى لا يهتدى إلى بعض الحقائق إلا بتوجيه الفكر الكلى، مثلا الصلاة لا يستطيع العقل الجزئى أن يعرف عددها في اليوم، وعدد ركعات كل صلاة إلا بتوضيح من الفكر الكلى (والفكر الكلى هو القرآن)، ولا يستطيع العقل الجزئى مثلا: أن يعرف لماذا لا يصح أن يجمع الرجل بين الأختين - لولا حكم الفكر الكلى<sup>(١)</sup>.

### الخلاصة

١ - رأى ابن خلدون بأن الشعر فى الإسلام كان أرفع من الشعر فى الجاهلية رأى خاطئ، ولا نستغرب أن يكون خاطئًا، لأن ابن خلدون ليس ناقدًا محترفًا، وإنما هو صاحب نظرات، فليس له، ولا كتاب واحد فى النقد، بل إن نظراته النقدية هذه لم يدعمها بأمثلة تطبيقية من الشعر الجيد - فى نظره-، والشعر الردىء.

(١) تفصيل - الفكر الكلى، والفكر الجزئى - والعلاقة بينهما، فى الجزء الأول من كتابي [العصمتان] - مخطوط. وكذلك، فيه تفصيل انحراف المعتزلة عن جادة الصواب.

٢ - رأيه أن القرآن والحديث.. صقلا لغة الشعر والنثر.. تعترضه كل الأدلة التي أتى بها التحليل السابق. فهو رأى - جُزائي - لا يقوم على تبصر.

٣ - أما النثر الفني فقد ترقى في الإسلام عما كان عليه في الجاهلية، لا بسبب لغة القرآن والحديث - كما بينا أسباب هذا النفي، خلال البحث - وإنما ترقى بعوامل طبيعية، أي: بسبب نمو الحضارة الإسلامية، بفضل القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف والروافد الأخرى. والله تعالى أعلم.

